العوامل المؤثرة في الانتحار

أ . علجية دوداح *

مقدمة :

يعتبر الانتحار من بين الأفعال أو السلوكات التي مارسها الإنسان منذ عهد قديم ، وتذكر الدراسات[1] ، أن الرغبة في اللجوء إلى الانتحار (بشكلها الواعي) موجودة في كل الثقافات والمجتمعات البشرية ، لكن من غير المؤكد ــ حتى الآن مسألة ـ ما إذا كانت فئات اجتماعية معينة أو في مجتمع محدد هي التي ترغب في الانتحار ، ففي الولايات المتحدة الأمريكية سجلت نسبة المنتحرين الرقم القياسي ، ونجد فئة الأطباء والمحللين النفسيين والعاطلين عن العمل هم الأكثر إستعدادا للانتحار ، وتؤكد الدراسات[2] على أن نسبة إستعداد هؤلاء للانتحار تبلغ أضعافها لدى العادين ، وفي هذا السياق تفيد نتائج الدراسات التي أجريت في مدينة نيويورك أن وسائل الإعلام تلعب دورا هاما في دفع الأفراد إلى الانتحار ، فبعدما تنشر إحدى الصحف اليومية أو المجلات الأسبوعية خبرا أو تحقيقا مفصلا عن انتحار أحد الفنانين مثلا ، فإن العديد من الأفراد خاصة الذين تتراوح أعمارهم ما بين 18 و25 سنة يقدمون على الانتحار .

إن هذه المسألة تؤكد على الانتحار الواعي غير المرضى ، وبتعبير أدق يمكن القول أن الأسوياء هم أكثر إستعداد من المرضى للجوء إلى الانتحار . فالنقاشات الدائرة حاليا لا تقتصر على مقولة " أن الانتحار هو الحل الوحيد للمشاكل التي يعانيها الفرد بل تتعداها لتطرح مسألة "خيار الموت"[3] وذلك إنطلاقا من حادثة انتحار الفيلسوف "جاب أميري" بل أنها تطرح أيضا مسألة النقاشات الدائرة بين المراهقين حول "الموت الإنساني" أو "الموت الهادئ"

---

* معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية ، المركز الجامعي العقيد أكلي محند أولحاج ، بالبويرة .

(1) ممدوح الزوبي ، الإنتحار بين المتعة والفلسفة والمعتقدات ، مؤسسة الإيمان ، بيروت ، لبنان ، 1990 ، ص21 .

(2) Mendel (G) , La crise de génération , Ed PAYOT, Paris,1969, p 25.

(3) Louis Vincent (TH) et col, La mort aujourd'hui , Ed atropos , Paris,1975 , p62.

كواحد من الخيارات المطروحة[1]. فالمعطيات الجديدة تبرهن على تراجع عدة حواجز في تفكير الفرد ، وإن مثل هذه التصورات أعطت خرقا جديدا في منظومة القيم الإعتقادية خصوصا إذا ما تعلق الأمر بمجتمع تحكمه القيم الأخلاقية والضوابط الدينية القائمة على أساس فاصل بين الحلال والحرام ، وبين الجائز والممنوع كما هو الحال في المجتمعات الإسلامية .

وإذا كانت القراءة الفلسفية[2] لظاهرة الانتحار تدور حول فكرة إثبات الذات ، عن طريق القيام بفعل الانتحار ، لعجز الفرد عن مواجهة الحياة ، وبين إختياره لواقع آخر ، فإن مستوى التصور يكون مخالفا للواقع الذي يعيشه الفرد . وهذا يقودنا إلى مقاربة زمكانية للظاهرة كفعل يلقى بالجسد والحياة على وجه التحديد ، خارج إطار المنظومة العلاقاتية والسوسيوثقافية .

هذه الرؤية الفلسفية لمختلف وضعيات هذا السلوك عبر مسار التاريخ ، تجرنا إلى طرح مجموعة من الأسئلة منها : كيف يمكن دراسة ظاهرة الانتحار في مجتمعنا اليوم ؟ ، وهل يمكننا إعتماد نفس المفاهيم التي أنتجت قبل خمسين سنة من اليوم ؟ . وماذا يعني موت الاخر بالنسبة لنا ؟ ، وكيف نعيش تجربة فقدان الآخر ؟ ، ما هو الخط الفاصل بين تجربة الموت وتجربة الحياة بالنسبة لأفراد يعيشون على هامش الحياة وحالة ضياع وجودي ، لم يستطع المجتمع بكل ما فيه من نظم وقيم وتقاليد أن يموقع هؤلاء الأفراد ظمن مكانة اجتماعية ، ودور اجتماعي خاص بكل فرد ، ولم يستطع هؤلاء الأفراد التكيف والإندماج لتحقيق التموقع اللازم تحقيقه في إطار المنظومة الاجتماعية للمجتمع ؟ .

قال (فجنشتاين)[3] Fegenchtein : " إننا لا نستطيع أن نمارس أو نجرب موتنا " فعلى الرغم من أننا لا نستطيع أن نمارس الموت ، فإن الموت مع ذلك أمرهام لتجربتنا ، وقد تختلف التجارب ، إلا أننا نجرب الموت في موت الآخرين ، وعلى هذا ما نمارسه أو نجربه على أنه موت هو فقدان الصديق أو الحبيب أو أحد أقاربنا .

فموت شخص ما ، ليس هو موت كيان عضوي ، بل هو تقطع نسيج من العلاقات بين الأشخاص ، فهكذا يصبح الموت هاما للتجربة الإنسانية ، فالذي

(1) Tousignant (M) et Brian (L . M) , Comprendre le suicide , P . U . M , Canada ,2004 , p 44

(2) Landsberg (J . P) , Essai sur l'experience de la mort , Ed le seuil , Paris , 1979 , p 62

(3) عزمي إسلام، لودفيج فتجنشتين ، سلسلة نوابغ الفكر الغربي(19) دار المعارف، القاهرة ، ص 32.

نجربه أو نمارسه على أنه موت ، ليس هو مجرد موت الآخر ، ولكن هو تمزق مفاجئ لهذا النسيج الهش للوجود ، فللموت هذا الأثر المباشر في كشف عما في الحياة من إرتباطات متشابكة .

و هناك أمر آخر يكشف عنه الموت لنجربه على نحو لا يسببه أي حدث آخر ، فكما أن الموت يكشف عن مدى إعتمادنا على هذا النسيج من الإرتباطات ، فإنه يكشف أيضا أن هذا النسيج يعتمد في نفس الوقت علينا نحن ، فإرتباطنا بالآخرين هو دائما أمر متبادل ناتج عن تفاعل اجتماعي ، لأننا نحن كأفراد لسنا مجرد موضوعات ساكنة لا تتحرك يوجه لها الآخرون أفعالهم ، وعلى هذا فإن الموت يكشف عن مفارقة ظاهرة التناقض : فنحن نحصل على حياتنا من الآخرين وبالآخرين ، ولكن نحقق ذلك بالقدر الذي نشارك فيه بحريتنا في علاقتنا بالآخرين ، فحياتنا ليست ملكا لنا ، بمعنى أنها لا تخصنا وحدنا ولا تتعلق بنا وحدنا ، فإنها لا تصبح حياتنا إلا بالقدر الذي يشاطرنا فيها الآخرون ، وآخر حرية يتمتع بها الإنسان هي أن يقضي على نفسه بنفسه كما أن الحياة لا تصبح ملكا مطلقا للإنسان ما لم يتمكن من نبذها متى أراد [1] ، لكن هل هذا كاف لتفسير ظاهرة الانتحار ؟

إن عملية الموازنة بين قيمة الحياة وحل الموت في كل عملية انتحارية ، يفضي بالبعض لإعتقاد أن الموت هو الذي يمنح الحياة قيمتها مثل موت المحارب المدافع عن وطنه يؤدي إلى حياة عزة الوطن ، لكن موت المنتحر هل فعلا نقص لمعنى الحياة أو تعبر عن معنى الحياة .

في أسطورة سيزيف[2] قال الفيلسوف الوجودي (ألبرت كامي) Albert Camus « ليس هناك من موضوع فلسفي سوى ظاهرة الانتحار » فهو يرى أن الموت هو المشكلة الفلسفية الحقيقية الجادة الوحيدة في الحياة ، فالأقوياء يستطيعون مواصلة الحياة رغم الصعوبات التي تعترضهم ، أما الضعفاء فينتحرون ، أما (أندري جيد) André Gid فيقول أن « الخلود في يد الإنسان يمكن تحقيقه إذا ترك بصماته القوية في ذريته دون حاجة إلى الموت والانتحار » .

فالموت بهذا المعنى يواجهنا حينما نقطع الاتصال في حياتنا مع الآخرين ، فنصبح مغتربين منعزلين غرباء ، إن كل ما يجعلنا نرى أن حياتنا أصبحت بلا

(1) فروم إريك ، الخوف من الحرية ، (تر : مجاهد ، عبد المنعم مجاهد) ، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات ، النشر ، بيروت ، 1972 ص73 .

(2) Camus (A) , Mythode sisyphe , Ed du seuil , Paris ,1933 , p 67.

معنى ، فيأتي الموت ليضع نهاية لجميع خطوط المعنى الممتدة لنا في الحياة لهذا يرى (سارتر) [1] Sartre أن «الإنسان لكي يفهم نفسه عليه أن يواجه الموت» ، أما فيلسوف الوجودية (هيدجر)Hydger فيقول : «أن الوقت لا يصبح ذا معنى إلاعندما ندرك أننا سوف نموت» .

وهذا ما يؤكده (نيتشه) [2]Nietzsche في قوله " كثيرون يموتون قبل أوانهم ، وكثيرون يموتون بعد أوانهم ، ومن الغرابة أن تكون القاعدة : " مت في الوقت المناسب " ، فهل انتحار الفرد هو تحقيق للتوقيت المناسب لنهاية الفرد بكل حرية ؟ ، وهل الحرية التي يتمتع بها الإنسان عندما يستخدمها لتدمير نفسه ووجوده هي تأكيد لوجوده حتى ولو كان ذلك بالموت ؟ .

إجمالا نقول : «أن النظر إلى سر الوجود مرتبط إرتباطا وثيقا بالنظرة إلى الحياة ومغزاها ، وذلك طبقا لشرائع الأديان وفلسفات المجتمعات البشرية منذ قدمها حتى الآن» .

لهذا فالانتحار بإعتباره موتا مختارا في الزمان والمكان له علاقة بالأطر الثقافية ، والجوانب الرمزية والتعبيرية ، وبالمعاني المختلفة التي تضفى عليه ، فما هي طبيعة هاته العلاقة بين هذه الأنساق وفعل الانتحار ؟[3] . وهل الانتحار يمثل اغترابا للفرد في المجتمع المغترب ، أو هو نتيجة للاغتراب الناتج عن الإحتواء الكلي للفرد داخل المجتمع ضمن أنساق ثقافية تلغي كينونة الفرد ، فلا يحس بوجوده الفعلي كفرد له دور ومكانة اجتماعية ، وهل يمكن أن يكون فقدان الفرد لإحساسه ومكانته الاجتماعية هو الدافع للانتحار ؟ ، أوهو عدم وضوح الدور والمكانة وفقدان المعنى في وجود قيم لم تعد تصلح لضبط أهداف المجتمع وفق ما يسعى إليه الفرد ؟ ، فيشعر الفرد بالغربة عن أهداف المجتمع ، مما يؤدي إلى ظهور صراع بين الأهداف العامة للمجتمع ، والأهداف الخاصة بالفرد . وهذا الصراع ينمي لدى الفرد الإحساس بلاانتماء ، والسخط ، واللامبالاة ، والعدوانية ، والقلق ، والإنعزال الاجتماعي . كلها أبعاد حقيقية لمفهوم الاغتراب ، حيث يندفع المجتمع برمته وبكل فئاته للانتحار .

فالموت يطرح أمامنا أكثر من سؤال ، كما أنه يضعنا أمام تحدي كبير ، إما

(1) محمود رجب ، سارتر فيلسوف الحرية والإغتراب ، مجلة الفكر المعاصر ، العدد 25 ، القاهرة ، 1967 ، ص45 .

(2) محمود رجب ، سارتر فيلسوف الحرية والإغتراب ، مرجع سابق ، ص46 .

(3) فيكتور فرانكل ، الإنسان يبحث عن معنى ، (تر : طلعت منصور) ، دار القلم ، الكويت ، 1986 ، ص77 .

مواجهته أو الإستسلام له . ولكن أيا كانت قوة الموت ، فإن إستراتيجيتنا أمامه ، أن نمضي بالحياة إلى موقع آخر ، وأن نحاول بلوغ مرتبة أعلى من الإرادة ، لا يمكن للموت أن يقهرها ، فتحدي الموت لا يمكن مواجهته إلا بأن نحمل تهديده بعدم الاتصال (الاغتراب) إلى مرتبة أعلى من الاتصال .

أولا : تعريف الكلمة المفتاحية (الانتحار).

تعريف الانتحار :

الانتحار لغويا هو عملية ـ قتل الذات بذاتها ـ . وهو مفهوم مشتق من كلمة مركبة من أصل لاتيني من فعل ـ Caedere ـ بمعنى « يقتل » والإسم ـ Sui ـ بمعنى النفس أو الذات . ونقلت هذه الكلمة بكاملها إلى الفرنسية على يد الأب دي فونتين (L'Abbé Des Fantaines) لأول مرة في النصف الاول من القرن الثامن عشر ، سنة 1737 على وجه التحديد [1].

وفي العربية يفيد الانتحار معنى مماثلا ، فالكلمة مشتقة من « نحر » أي ذبح وقتل ، وأنتحر الشخص أي ذبح نفسه وقتلها . ويقال تناحر القوم إذا تشاجروا لحد القتال والهلاك . وقد استعملت كلمة ﴿**بخع نفسه**﴾ في القرآن الكريم مرادفة للانتحار وتعني « أهلك نفسه وأنهكها غما »[2].

يعتبر العالم الاجتماعي الفرنسي (إميل دور كهايم) (1897) أول من تعرض لتحديد مفهوم وأعراض السلوك التي تندرج تحته ، فالانتحار ينسحب على « كل حالات الموت التي تنتج مباشرة أو غير مباشرة عن فعل إيجابي أو سلبي ينفذه الضحية بنفسه ، وهو يعرف أن هذا الفعل يصل إلى هذه النتيجة أي الموت »[3].

ثانيا : العوامل المفسرة للانتحار :

1. العزلة الاجتماعية :

أشار (دوركهايم) [4] إلى أن شعور الفرد بأنه « منبوذ » و أن مجتمعه قد لفظه أو وضعه على هامشه يؤدي إلى الانتحار . والشعور بالانتباذ والعزلة حافز فعال لتشجيع الميول الانتحارية . وقد يكون الإنسان وحده في ريف أو في قرية

(1) ARLABOSSE (R) et Coll , Encyclopaedia universalis , Edition 1990 , TOME 21 , PARIS , p 780

(2) المنجد في اللغة والإعلام ، دار المشرق ، بيروت ، لبنان ، 1986 ، طبعة : 28 .

(3) DURKHEIM (E), Le Suicide , Puf , Paris ,1969 ; p 5

(4) Ibid , p5 .

لا يشعر بالعزلة ، وقد يكون في وسط الصخب ، وفي قلب مدينة كبيرة ولكنه يشعر بالوحدة والانتباذ . فللعزلة إذن معنى نسبي وإنفعالا لا يحسه إلا الإنسان الوحيد .

و قد ألقى (سينزبري) في دراسة على الوقائع الانتحارية لمنطقة لندن الكبرى ، توصل بأن للعزلة معنى أعمق مما يتوقعه أي فرد ، وأنها تتعلق أيضا بمدى إحترام المجتمع للفرد . لذلك نجد عامل العزلة يؤدي إلى الانتحار لدى العاطلين ، أو الذين يعيشون في غرفة واحدة ، أو الفنادق وشقق الإيجار ، ولدى من قام بعمل إجرامي ، وأدى إلى سخط المجتمع عليه ، ولدى المتقاعدين ممن فقدوا الصحبة والزمالة وتبين له من مجموع الوقائع التي درسها أن 25% منهم كانوا منعزلين متحفظين و23% أنانيين فرديين[1] .

و ظهرت لـ (كابشتيك) ازدياد نسبة الانتحار عند القرويين في (ويلز) كلما ازدادت عزلتهم وشعروا بالوحدة أو قل عدد أفرادهم في البقعة الواحدة .

و الشعور بالضياع ، هو كالوحدة بتأثيرها ، لذلك يعزو كل من (أكبرن ونيمكوف) زيادة الانتحار في المدن الكبيرة ، إلى تضاؤل الشخصية والشعور المتزايد بالوحدة . وينتاب المهاجرون والقادمون الجدد إلى مجتمع آخر نفس الشعور بالوحدة والضياع ، وسرعان ما ينتحر بعضهم قبل أن يتعود العيش في محيطه الجديد . وقد انتحر بعض أهالي الملايو بسبب الحنين للوطن وشعورهم بالوحدة والغربة . ويزيد الانتحار كلما كانت الجماعات المهاجرة قادمة إلى قطر أكثر تعقيدا ومدنية منهم . ووجدت الدكتورة (آنديكز) أن 71% من الذين حاولوا الانتحار في مدينة (فينا) هم ممن قل أصحابهم ولعل ندرة الأصدقاء وصفات الترفع والانعزال عند بعض الناس ترجع إلى سمة الشخصية « الشيزوفينية » . يقول (لوثر)[2] : « من نتائج الوحدة الحزن والأفكار الشريرة » و قالت إحدى المعلمات النمساويات بعد أن أنقذت من محاولة انتحارية : « لو أعرف شخصا ما يحتاجني ، لو اعرف أنني أعني شيئا ما لآخر ، لو أن أحدا طلب مني العون . . لو! » .

و يقول أحد أبطال الكاتب الروائي (هيبل) في دراما (جوديس وهولو

(1) FILLOUX (J . C) , Individualisme , socialismes et changement social chez Emil Durkheim , paris ,1975 , p180

(2) DURIGNAUD (J) , L'anomie , hérésiet subversion , edantropos , Paris , 1973 , p 142

فيرن) : « لا مكان في هذا العالم لمن يفكر بأن شخصا آخر يمكن أن يحل محله ويملأ فراغه » و بعض المتقاعدين يرون بأم أعينهم أن شخصا آخر قد حل محلهم ، وهو عامل مساعد على الأفكار الانتحارية لدى المتقاعدين[1].

ووجد (شتينجل) بعد دراسة وقائع الشروع في الانتحار ، أن الوحدة من أهم العوامل التي أدت إلى الانتحار ، وأن مجرد الشعور باقترابها والتهديد باحتمالها يؤدي مفعول الوحدة ذاتها . فمحاولة الانتحار إذن إرتداد للوراء ، ونكوص إلى دور التطفل ، والاعتماد الكلي على الغير وتخلص من الوحدة .

و كثرة الانتحار بين المسنين يعود إلى عوامل كثيرة ، منها الشعور بالوحدة . والسجناء المعزولون في زنزانات منفردة يموتون عقليا قبل موتهم الحقيقي . والانتحار ظاهرة متكررة بين السجناء . فاكتئابهم وعزلتهم وتبلد إحساساتهم ، أو ما يدعى بـ « تناذر المجانبة أو الانتحاء » تربي كلها الميول الانتحارية . ومن السجناء من تمنى الموت بعد أن غادر السجن بدلا من أن يقضي على العالم الأجمع! .

و الفردية تزيد من الشعور بالوحدة ، بينما الاندماج مع الجماعة ، والتماسك الاجتماعي يضعف الشعور بها . لذلك نجد المصائب العامة والنكبات والزلازل والحروب تقلل من نسبة الانتحار لأن الدوافع الشخصية الأنانية تتضاءل وترضخ أمام الدوافع الأعم ولأشمل[2] .

2. الحراك الاجتماعي :

من العوامل التي إكتشفها الباحثون في البيئة ، والحالة المعيشية للمنتحرين هو : عامل « الحراك الاجتماعي SAUCIAL MOBILITY وقصدوا به : « درجة التماسك والترابط الاجتماعي ، وكثافة السكان ، والإستقطان في البيت أو البقعة الواحدة ، وسرعة التنقل ، ومدى عمق التعاطف بين الأفراد في المنطقة الواحدة ». وبينوا أن درجة التشوش والاضطراب في حياة الناس في بقعة ما ذات علاقة وثيقة بخلق الميول الانتحارية ، لأنها تعيق الفرد عن أداء ما هو مفروض عليه تجاه الجماعة . وقد عدد (كارولي) في كتابة عن الانتحار العوامل الفعالة ، وذكر منها كثافة السكان والعيش في المدن الواسعة والبطالة[3] .

(1) Halbwachs Maurice , Les causes du suicide , préface , serge paugam , PUF , paris ,2002 , P210.

(2) Charazac Brumel Marguerite : Prévenir le Suicide et Prise en Charge , DUNO , paris ,2002 , P255

(3) DURKHEIM (E) , La science social et l'action , PUF , paris ;1970 , P54

و كما بين (دور كهايم) عن أهمية الترابط الاجتماعي في خفض نسبة الانتحار ، فقد وجدت (كافان) و(فاريس) في مدن شيكاغو وسيتل ومينابوليس ، وكذلك (سينزبري) في لندن بأن نسبة الانتحار عالية في المدن الكبيرة ، ويمكن تقسيم المدن الكبيرة إلى (مناطق) حسب درجة وقوة الترابط الاجتماعي فيها . وقد تبين أن المناطق المركزية الوسطى التي فيها التنقل والحركة والفنادق ، ويكثر في شوارعها الأفراد الأفاقون الذين لا مأوى لهم ، حيث تضعف صلات الجيرة والصداقة ، تزيد فيها نسبة الانتحار والمحاولات الانتحارية عما هي عليه في المناطق الأخرى من نفس المدينة ، حيث المناطق السكنية الهادئة ذات الجيرة والصحبة والقرابة[1] .

كذلك تنخفض نسبة الانتحار ، كلما إبتعدنا من المدينة إلى الريف حيث المزيد من الاستقرار والتقاليد والجيرة والصلات العائلية ، وقد وجد (سينزبري) أيضا زيادة نسبة الانتحار في المناطق التي تكثر فيها الولادات غير الشرعية ، مما له علاقة بالحراك الاجتماعي أيضا ، ولكنه لم يجد لجنوح الأحداث علاقة بالانتحار . وفي انجلترا ـ على العموم ـ تكون نسبة الانتحار في المدن الكبيرة عالية .

و منذ عهد (مازاريك) سنة 1881 م الذي أشار إلى المفعول السيئ للمدن الكبيرة على شخصية الإنسان ، فان كثيرين من بعده ينسبون إزدياد الانتحار في المدن الكبيرة إلى «الضياع والوحدة» بيمنا لا يزال التماسك الاجتماعي ، والشعور بالمسؤولية يعمل عمله في المدن الصغيرة . وقد أشار(براتوي) إلى هذا الضياع وصعوبة العيش في المدن الكبيرة عند المهاجرين الذين يستوطنون قطرا آخر ، مثل انجلترا أو الولايات المتحدة الأمريكية ، فهم يواجهون مشاكل إقتصادية وسكنية ، ويعانون من أمراض نفسية وعقلية ، ومن ميول انتحارية مليحة .

و استنتج (كابشبيك) من دراسته للانتحار في منطقة ويلز من بريطانيا ، أن نسبة الانتحار أكثر في المدن مما هي عليه في الريف ، وفي كلا الجنسين . بيد أنه وجد أيضا أن نسبة الانتحار ترتفع في المجتمعات الصغيرة التي لا يتجاوز سكانها الـ 1000 ـ 2000 نسمة وخاصة عندما تتفرق الجماعات وتقل الصحبة

(1) Verdine (J) et autres , suicide et conduites suicidaires , Aspect socioculturel épidémiologique , prévention et traitement TOME2 , masson , paris ,1982 , p140 .

والاختلاط (عامل الوحدة) [1] .

3. التفكك الاجتماعي :

التفكك الاجتماعي في تصور (محمد عارف) مفهوم متسع يشمل ظواهر اجتماعية وثقافية عديدة . فهو يشير إلى تناقص وصراع المعايير الثقافية ، وضعف أثر قواعد السلوك ومعاييره ، وصراع الأدوار الاجتماعية ، وإنعدام الالتقاء بين الوسائل التي يجيزها المجتمع مع غايات الثقافة فيه ، وأخيرا إلى إنهيار الجماعات وسوء أدائها لوظائفها . ومعنى ذلك أن هناك شكلين للتفكك الاجتماعي :

الشكل الأول هو : إضطراب البناء الاجتماعي ، ويشمل ما يطرأ على الجماعات والتنظيمات والنظم الاجتماعية من تقويض دعائمهما وانعدام تكاملها ، وتدهورها ، وتوقفها عن النمو . كما يشمل الفساد أو الخلل الذي يطرأ على العلاقات الوثيقة الأساسية القائمة بين الأفراد والجماعات والمؤسسات والطبقات الاجتماعية . أما الشكل الثاني فهو قصور الأداء الوظيفي ، ويشمل كل ما يعمل على فساد الكفاية الوظيفة أو الفشل في القيام ببعض المتطلبات الوظيفية ، مثل الأغراض والأهداف ، كما يحدث للأهداف نوع من الخلط والغموض . ويشمل هذا الشكل كذلك سوء الأداء الوظيفي أو قصوره . ويعني ذلك القيام بوظائف متعارضة الأهداف والأغراض ، وما ينشأ عن ذلك من إفتقار إلى وجود تلاؤم بين عناصر البناء الاجتماعي[2] .

وقد ربطت نظريات اجتماعية عديدة بين التفكك الاجتماعي ، والسلوك الانتحاري كسلوك إجرامي ينشأ في ظل وجود مظهر أو أكثر من مظاهر شكلي التفكك(إضطراب البناء وقصور الأداء الوظيفي) . وأوضحت هذه النظريات أن التفكك الاجتماعي دالة إيجابية للتحضر ، حيثما تميزت المجتمعات البدائية والريفية القروية بالترابط والانسجام وإحساس الفرد بالاستقرار والأمان ، فان المجتمعات المتحضرة المعاصرة تفتقد إلى تلك الصفات . ففي هذه المجتمعات يواجه الأطفال أثناء عملية التنشئة الاجتماعية أشكالا متباينة من السلوك حتى داخل بيوتهم ، وفي محيط أسرته الصغيرة . فالأب والأم كثيرا ما تتباين

(1) Jacobs , J et Teicher , J , Brocken homes and social isolation inattemted suicide of adolescents , in international Journal social psychiat N13 ,2006 , p149.

(2) معن خليل عمر ، التفكك الاجتماعي ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، الطبعة الأولى ، 2005 ، ص288 .

تصرفاتهما ، وبخاصة حينما تتفاقم العلاقة بين الأبوين ويسود التفاهم في المحيط العائلي . وفي البيئة الاجتماعية خارج المنزل يواجه الأطفال العديد من المشكلات ، كم يواجهون أنماطا مختلفة إختلاقا متباينا عن أنماط السلوك التي يواجهونها داخل منازلهم . ونتيجة لتعدد أنماط السلوك التي يواجهها الأفراد وتباينها ، بالإضافة إلى إحتدام حدة الصراع في تلك المجتمعات المتحضرة المعاصرة ، فان سلوك الأفراد يتأثر سلبيا يجعل من الصعب التنبؤ بسلوك الأفراد الذي يأخذ مسار الانحراف والجريمة في حالات عديد . وبالذات إذا ما وجد الفرد نفسه في وسط جماعة يسود بين أعضائها السلوك الإجرامي[1] .

و من النظريات التي قدمت في إطار التفكك الاجتماعي نظرية « شو show » الذي إفترض أن أكبر تجمع للمجرمين والجانحين يحدث في مناطق تتسم بالتفكك الاجتماعي . وقد وصف هذه العملية في صورة مختصرة مؤداها « أنه يحدث خلال عملية نمو المدينة أن تخضع توجيهات منطقة الجيران ، والنظم الثقافية ، والمعايير الاجتماعية في كل المناطق الملاصقة لمنطقة المراكز الصناعية الرئيسية والتجارية ، ولانتقال المستمر للسكان القدامى خارج هذه المناطق وتدفق جماعات جديدة إليها ، وإختلاط كثير من المعايير المتعارضة ، والقلق الاقتصادي للأسر ، تترابط فيما بينها مما يجعل من العسير قيام تنظيم اجتماعي فعال في هذه المناطق يساعد على تربية الأطفال ، وضبط السلوك الخارج على القانون أو التحكم فيه » [2] .

ففي ظل الظروف القائمة في الأحياء المختلفة يصبح المجتمع الكلي مفككا ، وتضعف رقابته على أعضائه ، بحيث لا يخضعون للضغوط التي تلزمهم بمراعاة المعايير الاجتماعية المقررة ، ومن ثم ينعدم تكامل النظم الاجتماعية . وبالتالي فالمتوقع هو أن تصبح الأنماط الإجرامية أو الجانحة شائعة ، وتنتقل في سهولة ويسر ، حتى يصبح ذلك في الواقع الثقافة السائدة في مناطق يرتفع فيها الإجرام . وهنا يتعلم الأطفال الصغار الذين ينشئون في مثل هذه المناطق السلوك الإجرامي على أنه الطريقة المناسبة والطبيعية للتكيف[3] .

و يؤخذ على نظرية التفكك الاجتماعي ، أن مفهوم التفكك نفسه يتسم

(1) عاطف عيث محمد ، المشاكل الاجتماعية والسلوك الانحرافي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1989 ، ص130 .

(2) قيرة إسماعيل وآخرون ، عولمة الفقر ، المجتمع الآخر مجتمع الفقراء والمحرومين ، دار الفجر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 2003 ، ص177 .

(3) المرجع نفسه ، ص177 .

ببعض التناقض وعدم التجانس في أبعاده ، فقد وضع هذا المفهوم ليفسر مجموعة من الظواهر غير المتجانسة : كالجريمة والجنوح والطلاق والبغاء وإدمان المخدرات والخمور . . . الخ ، وهذا يقلل من قيمة النظرية ، مما أدى ببعض الباحثين إلى الاتجاه لتناول أبعاد محددة أو مظاهر نوعية للتفكك الاجتماعي ، مثل الصراع الثقافي ، حيث ينظر العديد من علماء الاجتماع إلى الصراع الثقافي على أنه أحد أبعاد التفكك الاجتماعي ذات الدلالة في تفسير السلوك الإجرامي . لذلك كان الاتجاه إلى تحديد دلالته التفسيرية بصورة منفصلة . فالصراع الثقافي كما عرفه (محمد عارف) : يعني صداما بين عناصر ثقافتين ، وأهم هذه العناصر القيم والعادات والتقاليد . وللصراع الثقافي صورا عديدة منها : الصراع بين قيم الطبقات الاجتماعية على مستوى المجتمع .

و الصراع بين قيم بعض الجماعات (كجماعات المهاجرين والأقليات) وبين قيم المجتمع العام ، والصراع بين قيم الأجيال المتعاقبة[1] .

و قد أوضح (نايتذل) أن صراع القيم أو المعايير الذي يؤدي إلى السلوك الإجرامي يرجع إلى حقيقة أن مختلف الجماعات ، العرقية أو العنصرية أو الطبقية تشترك أو تتقاسم أنماطا ثقافية من السلوك تختلف مع القوانين السائدة ضد أشكال معينة من الجرائم . وهذه الأشكال غير المشروعة من السلوك الإجرامي تتدعم من خلال معايير الثقافة الفرعية ، وهي بالطبع تمارس ضغوطا واضحة في اتجاه الانحراف عن المعايير التي تقف خلف القانون الجنائي . فالعصابات (GES ـ GANE) على سبيل المثال لديها معايير وقيم معينة عن كيفية السلوك يلتزم بها أعضاؤها ، لذلك نجد أن العصابة تحل محل الوالدين لدى بعض الشباب ، ويقوم بدور متعهد المعايير ، حتى عندما يحاول الوالدان أن يغرسوا فيهم قيمهم ومعاييرهم الخاصة[2] .

و من نماذج النظريات التي قدمت في إطار الصراع الثقافي مما قدمه (ولتر ميلر) (W . MILLER) في نظرية « الاهتمامات المحورية » FOCAL CONCERNS .

و قد تناول (ميلر) تصوره في ثلاثة فروض : الأول هو أن الطبقات الدنيا تتميز بقيم خاصة . والثاني أن هذه القيم تختلف إختلافا واضحا عن قيم الطبقة المتوسطة التي توجه التشريعات . أما الفرض الثالث فهو : نتيجة لذلك فان مسايرة

(1) حسن الساعات سامية ، الجريمة والمجتمع ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، 1983 ، ص151 .
(2) المرجع نفسه ، ص150 .

بعض قيم الطبقة الدنيا ربما يؤدي آليا إلى انتهاك القوانين وارتكاب مختلف أشكال السلوك الإجرامي[1] .

فالأنشطة الإجرامية لعصابات المراهقين الذين ينتمون إلى الطبقة الدنيا ، تعزى إلى محاولتهم لتحقيق أهدافهم وغاياتهم (التي تمثل قيمة في ثقافتهم) من خلال بعض أشكال السلوك التي تبدو لهم أكثر الوسائل الملائمة لتحقيق الأهداف والغايات . وهكذا فان الالتزام بالمعايير والتقاليد الخاصة بالطبقة الدنيا يعد مسألة جوهرية . فما هي إذن هذه المعايير والتقاليد ؟ لقد أسماها (ميلر) الاضطراب والقسوة والعنف والإثارة والاستقلال . فعلى سبيل المثال نجد أن أبناء الطبقة الدنيا يثيرون الشجار ليظهروا قسوتهم وعنفهم ، ويسرقون من أجل إستعراض جرائمهم وجسارتهم . فهناك مئات من حالات القتل التي تقوم بها العصابات في لوس أنجلس كل عام من أجل إظهار التمسك والالتزام بقيم العصابات وتقاليدها[2] .

و معنى ذلك أن السلوك الإجرامي في رأي (ميلر) مساير لنمط ثقافي سائد يتسق مع ثقافة الطبقة الدنيا عامة . ومن الواضح أن هناك طرقا عديدة لتحقيق القيم التي تخص عليها هذه الثقافة ، منها ما يؤدي للجريمة ، ومنها ما لا يؤدي إلى الجريمة . والقيم التي يتجه نحوها السلوك الإجرامي مستمدة مباشرة من عملية التنشئة الاجتماعيةSOCIALISATION في إطار ثقافة الطبقة الدنيا ، وهي لا تمثل بأي حال رد فعل ضد الأنماط الثقافية للطبقة الوسطى[3] .

و هناك تحفظات على نظرية الاهتمامات المحورية منها أن النظرية يمكن تطبيقها على مدى محدود من الجرائم ، وهي لا تفسر الجرائم التي يقوم بها الأفراد غير المحرومين اجتماعيا أو الأغنياء . لذلك فان المفاهيم الأساسية للنظرية غامضة . فكيف تنشأ هذه المعايير الثقافية ؟ وكيف تنتقل من جيل إلى آخر ؟ وكيف يمكنها أن تضبط سلوك أي فرد من الأفراد ؟ كما أن بعض جوانب النقد ترفض إفتراض الفروق القيمية الشديدة بين الجماعات في المجتمع الواحد ، ويرى البعض أن المجتمع الأمريكي الذي خرجت منه النظرية ليس مجتمعا ـ متنافرا ثقافيا كما تشير النظرية[4] .

---

(1) المرجع السابق ، ص150 .
(2) المرجع نفسه ، ص151 .
(3) أحمد خليفة ، الوقاية من الجريمة الناشئة عن التغير الاجتماعي المصاحب للتنمية ، المجلة الجنائية ، القاهرة ، العدد 1 ، 1961 ، ص122 .
(4) المرجع نفسه ، ص122 .

4. الضبط الخارجي :

بوحي من نظرية (دور كايم) ، وبعد بحوث اجتماعية إحصائية متعددة ، خرج كل من (هنري وشورت) بفرضية عن علاقة الانتحار بالقوى الاجتماعية الترابطية والقيد أو « الكبح » الخارجي .

و ملخصها : « أن الفرد يرتبط بقوتين اجتماعيتين أولاهما أفقية وتمثل قوة العلاقات الاجتماعية ، والثانية عمودية وتمثل موقع الفرد . وكلما زاد هذا القيد إكتسب الفرد مناعة أكثر ضد الانتحار ، كما نجدها مثلا عند الشخص الاجتماعي المتزوج ، الذي يعيش في الضواحي ، بين أصحابه . . . وجيرانه ، أو في الريف . والذي يشغل منصبا اجتماعيا بسيطا ، ومحكوم أو مسئول أمام رؤساء متعددين « و على العكس ، فإنه كلما خف القيد الاجتماعي على الفرد وأصبح أكثر ممارسة للحرية والتصرف الشخصي قلت مناعته وزاد إحتمال إرتكاب الانتحار كالشخص الغني ، من الطبقة الأرستقراطية ، أو المنصب العالي الذي يتخذ القرارات بنفسه ، ويسير من دونه من المرؤوسين أو الأعزب أو المطلق الوحيد» .

ولكن كيف يعمل هذا « الضبط الخارجي؟» يقول الباحثان : إن الفرد الذي يتعرض لهذا القيد يضطر إلى مراعاة ومسايرة تصرفاته وفق متطلبات الناس والارتباط بهم ، أي أن يلقي على جماعته مسؤولية تصرفاته ومن ضمنها الانتحار . أي أن الجماعة مقابل ضغطها على الفرد تتحمل مسؤولية أعماله ، تحميه قبل كل شيء تمنعه من الإتيان بسلوك غير مستحسن إذ أن سلوكه يمثل سلوكها هي ، وهي المسؤولة عليه لذلك ينخفض الانتحار كلما ازدادت العلاقات الاجتماعية تماسكا وضبطا[1] .

لكن نجد أن الانتحار قليل والمحاولات الانتحارية نادرة في المجتمع العدائي أو اللامبالي تجاه أعضائه . فالانتحار كان نادرا في معسكرات الاعتقال الألمانية ، بينما المعتقلون مكروهون ومنسيون من قبل الجماعة ـ جماعة العدو ـ ويفسر الطبيب النفساني (كوهن) ذلك بقوله : « إن الانتحار يمثل الهرب وإن الإنسان عادة يقبل على الموت عندما يرى مجتمعه منهمكا ومتجها إلى الحياة ـ أي يهرب من الحياة إلى الموت ـ» .

أما في معسكرات الاعتقال ، فان السجانين يمثلون حقيقة الموت فهربهم من الموت يعني « الحياة» و يفسر هذا أيضا هبوط الانتحار أيام الحروب إذ أن

(1) السيد علي شتا ، باثولوجية العصيان والاغتراب ، دار الحكمة ، القاهرة ، 2004 ، ص160 .

العزلة شبه مفقودة في الحرب وصلات الأفراد أكثر تماسكا[1].

5. الحالة الزوجية :

تختلف نسب الانتحار ومحاولات الانتحار باختلاف الحالة الزوجية ، وهو تباين واضح لا يمكن لأي باحث إغفاله ، لذلك كانت الحالة الزوجية مهمة كدافع أو رادع للسلوك الانتحاري . والحالة الزوجية هي قبل كل شيء « رابطة إنسانية » و اجتماعية .

و بصورة عامة فإن المتزوجين أكثر مناعة ضد الانتحار[2]، بينما العزاب والأرامل والمطلقون أكثر عرضة له . فحالة الزواج هي منافية للعزلة والوحدة قبل كل شيء ، وهي قوة ضابطة تحمل الزوجين مسؤوليات وتبعات تشدهما إلى البيت والأسرة والجماعة وتبعدهما عن قتل النفس . تلك هي الصورة العامة للحالة الزوجية ، ولكن اختلافات كثيرة تحدث بين المتزوجين والأرامل والمطلقين متأثرة بعوامل أخرى كنوعية الرابطة الزوجية والعمر مثلا .

فالمشاكل والنزاعات بين الأزواج ، تدفع بهم إلى المحاولات الانتحارية . وتأثيرها في النساء أعظم من الرجال ، اذ أن الشروع في الانتحار بين النساء هو ضعف الرجال . ولكن الانتحار التام بين الرجال هو ضعف النساء تقريبا . لذلك كانت أعلى نسبة للانتحار هي بين المطلقين والمفترقين إذا قورنت بالأرامل والعزاب .

و عامل العمر يترك أثره في الحالة الزوجية . ففي سن قبل الـ 35 تكون نسبة الانتحار لدى الأرامل عالية ، أما بعد سن الخامسة والثلاثين فتكون أعلى نسبة بين العزاب . فالشباب المترمل أو (الشابة المترملة) يجابه بصدمة مفاجئة وإضطراب سريع في بناء أسرته عند فقد قرينته . أما الأرمل بعد الأربعين فإنه يكون قد أسس بناء أمتن وأصبحت روابطه أعمق وأرسخ مع بقية أفراد أسرته وأطفاله الذين ترعرعوا وكبروا ، أي أصبح أشد تماسكا وأكثر مناعة ضد الانتحار[3].

و على ذكر الحالة الزوجية ، فان الحالة « الخطبة » قد تؤدي إلى كآبة انفعالية وإثارة للقلق والمخاوف والأوهام المتعددة وحتى الانتحار . وقد دعى هذه الحالة الدكتور (ديفز) عميد معهد الأمراض العقلية والعصبية في جامعة لندن باسم « اكتئاب الخطبة » . وقد تتبع مجموعة من هذه الحالات ووجد بأنها تحدث في

(1) Mendel (G) , La crise de génération , Etude socio psychanalytique , A PAYOT , paris ,1946 , p 250.

(2) Durkheim (E) , le suicide , op . cit , P192.

(3) Deshaies (G) , La psychologie du suicide , PUF , Paris ,1970 , p 60

الناس ضعيفي الشخصية ومن الذين لهم استعداد للهستيريا .

و قد تكون الخطبة معلنة رسميا أو متفقا عليها ضمنا في المستقبل القريب . ويعزو (ديفز) ذلك إلى التوتر الجنسي أما (فرويد) فيفسرها بأنها كآبة تحدث كرد فعل لإزالة المثبطات والموانع التي كانت مسيطرة على عقدة باطنية .

فإزالة الضوابط ـ بالخطبة ـ تترك الفرد الهزيل الشخصية ذا المخاوف[1] وجها لوجه أمام الميول الجنسية . وقد تتكرر نوبات الاكتئاب هذه ست مرات أو أكثر ثم تزول أثناء الخطوبة أو بالزواج الفعلي .

6. الأزمات الوجودية :

يمضي الإنسان في محطات حياته ، يطرح على نفسه الأسئلة التي تعني وجوده ، بشخصيته ، بسلوكه ، بشكله ، بسيرته ، بعمله ، برضاه على نفسه . فإما يرضى ويستمر شاكرا ربه على نعمه ، إما متمردا ، منزعجا وغاضبا على نفسه إلى حد تفضيل الموت على هذه الصور التي يرسمها هو عن نفسه ، والتي ليست بالضرورة صحيحة ، فمن أزمة البلوغ إذ يبدأ الجسد بتغيير بعض ملامحه معلنا الانتقال من مرحلة الطفولة إلى مرحلة المراهقة وأزمتها حين تبدأ القرارات الأولى المحددة للمصير ولمسار المستقبل المهني أو العائلي أو حتى الاجتماعي[2] .

فضلا عن تفجير المشاعر ، والعواطف والحماسة ، والرفض للقديم ، والتمرد على الأهل والحاضر . إضافة للحنين لمرحلة الطفولة ، والقلق من مرحلة سن الرشد ، والمسؤولية وخدمة العلم وتحديد الاختصاص المهني في المستقبل ، أو نوعية الدراسة الجامعية ، أو الارتباط الزواجي ، أو الاستقلال عن الأهل والسفر والافالات من التبعية للأهل ، وما يمثلونه من صورة في مخيلتهم ، ثم أزمة بلوغ سن الثلاثين حيث الاختصاص والمهنة قد حسم أمرها نهائيا ، إضافة لاختيار الشريك الزوجي وبناء المسكن العائلي ، وتحديد الإقامة الدائمة ، وحتى تحديد الفكر العقائدي الذي يفضله ويجب أن يستمر في طريقه كسبيل نجاة له ولمجتمعه ، ثم أزمة بلوغ سن الأربعين إذا الأطفال موجودون وتأمين متطلباتهم واجب صعب[3] .

و في هذه المرحلة يبدأ المرء بالاعتقاد أنه أكثر نضجا ، لا تهمه المسائل التافهة ويفضل الابتعاد عن كل ما يشكل خطرا على وجوده ، إذ المرء مطلوب

---

(1) Ibid , p 27.

(2) Frommeric , The son society , New York ,1955 , p 151.

(3) Davids (A) , Alienation , social , apperception and ego structure , Journal of consulting psychology , N19 ,2007 , p 27.

منه أن يعيش ليعيل عائلته . ثم أزمة بلوغ سن الخمسين إذ البوادر الأولى للأمراض الجسدية ، التعب من المهنة والاشمئزاز من العمل الرتيب فتضاؤل الحماسة وتقل المبادرة الفردية ويبتعد الإنسان عن السهر والمجازفة والمغامرات ليفضل المنزل مقتصدا بماله لأن حدود ثروته تحددت تقريبا بصورة نهائية ، وهنا ينظر الإنسان إلى عائلته وإلى ما جنته يداه من عمل وثروة بشعور أن كل الأمور الحياتية قد حسمت وبدأ أفول نجمة ليبدأ إشعاع نور أطفاله برغباتهم وحماسهم ومشاكلهم . وفي أزمة بلوغ الستين يميل الإنسان إلى التدين ليقترب من ربه ، وتكثر أحاديثه الدينية ويعظم إيمانه بالكتب السماوية إذ أن القلق من الموت يخيفه كما يخاف فراق عائلته وواقعه ، وفي هذه المرحلة يتزوج أولاده ويتحول إلى جد مما يشعره أكثر باقتراب من المقبرة خاصة أنه على حافة التقاعد من العمل ليتحول إلى غير منتج اقتصاديا وربما عالة[1] على أولاده كما يفقد من بريقه الاجتماعي الخدماتي الكثير لابتعاده عن ميدان العمل ، ولا ننسى أيضا حزنه وقلقه عند سماع نبأ وفاة أصدقائه الواحد تلو الآخر .

هذا مختصر عن الأزمات الوجودية التي من الممكن أن يمر بها الفرد فإن سدت أمامه الطرق وكثر نقده الذاتي للمرحلة السابقة ، ولدوره فيها ، إضافة إلى عدم رضاه عن نفسه وإتهام نفسه بالفشل وسوء إستخدام الفرص ، خاصة إن كان لا يرى في حاضره ، ومستقبله أي إشارة لتعويض ما فات ، فالانتحار هنا فكرة حاضرة تمر على البال . فإما أن يقاومها بالرهبنة أو التدين أو التوجه إلى مكة لإتمام مراسيم الحج ، وإما يتحول لحاقد على نفسه وعلى من حوله متهما الآخرين بالتآمر عليه وإفشاله دائما ، وإما أن ينتحر بالاستسلام لمرض ما ، أو لقدر ما أو ينفذ الانتحار طوعا فيموت .

7. الإدمان على المخدرات :

الاتجاه العام في موضوع الإدمان ، أنه عرض أو صورة للاضطراب الشخصية ، فليس كل من يتناول الخمر يصبح مدمنا ، ولكن كل مدمن لا يتمكن من السيطرة على كمية ما يتناوله من المادة المخدرة ، ويبدأ إضطراب الشخصية من الطفولة . والخمر أو الأفيون أو الكوكايين ، أو الباربيتون ، وغيرها كثير ، وهي مواد كيماوية تسد النقص أو تهدئ من القلق المزمن ، فالإدمان هزيمة من واقع مر ، وقد يستبدل المدمن الهزيمة الدائمة (الانتحار) بهزيمة وقتية (الإدمان) ، أو قد ينحدر تدريجيا إلى مرض عقلي[2] .

---

(1) Idem , p 27.

(2) Robins E , schmidt . E . H et o'niel . p , some inter relations of social factors

و المدمنون أنواع شتى ، منهم المكتئبون ، ومنهم المكتئبون منذ نعومة أظافرهم وهم لا يدركون ، ولعل هؤلاء هم الذين يلجأون إلى الانتحار بالنهاية أو يعرضون أنفسهم لأخطار وحوادث مميتة .

يدعي (زلبورغ) أن الانتحار لدى المدمنين على الكحول والمخدرات ، هو انتحار آني غير مخطط أو غير ممهد له ، وان له جذورا بدائية عريقة فمثلا قبائل (مالاليس) في البرازيل تمارس نوبات من الإدمان والشرب العنيف ، ويتبع أفراد القبيلة ذلك بممارسات جنسية حادة وتنتهي النوبة في بعضهم إلى شق أنفسهم .

و تمتاز الشعوب التي تتناول الخمر ، أكثر من غيرها بارتفاع نسبة الانتحار فيها مثل : السويد والدانمارك والنمسا وسويسرة ، ومن بعدها الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا[1] .

فقد وجد (مينسكي) أن حوالي 36% من المدنين ينتحرون ، ومنهم من انتحر تحت تأثير مباشر وآني للخمر ، ومنهم من كان مصابا بالاكتئاب أو الذهان أ وشذوذ الشخصية (السايكوباثي) ، ومنهم من كان مصابا بالهلوسة المزمنة .

وقد قام (بريكور وسرجون) بدراسة 28 حالة مدمن حاولوا الانتحار ، وكانت أكثر من نصف محاولاتهم صادقة ، وظهر أن 60% منهم مصابون بمرض عقلي أ وذهاني ، بينما كانت المحاولات الأخرى سطحية أو (تمثيلية) ، وغلبت على معظمهم أعراض إضطراب الشخصية السايكوباثي .

وفي السنوات العشرين الأخيرة زاد إستعمال الحبوب المنبهة مثل (الامفيتامين) من قبل الجيل المتسكع في انكلترا وأمريكا وأوروبا ، ولهذه المادة مفعول التنشيط وخلق الشعور الكاذب بالقوة والسيطرة ، ولا تلبث بعدئذ أن تؤدي إلى شبه حالة ذهانية وهلوسة وخوف هائل بالاضطهاد قد تؤدي إلى الاعتداء على الغير أو إلى الانتحار[2] .

و الإدمان المحلي يمتاز بتناول مواد أو مضغ أعشاب برية من قبل السكان المحليين تصل إلى حد الإدمان عليها . ولبعض منها مفعول المنشط والمنبه للجهاز العصبي (مثل الكوكايين) ، وللبعض الأخر مفعول معاكس ، وهو شعور بالاسترخاء والحبور (مثل الميكالين ومشتقات حامض اللايسرجيك) ولهذه المواد

---

and clinical diagnosis in attempted suicide a study of 109 patient , American of Journal of psychiatry N 114 ,2005 , p 251.

(1) Idem , p 255.

(2) Idem , p 255.

مفعول سحري على الدماغ والتفكير جربها الكاتب الانكليزي الشهير (الدوس هكسلي)[1] على نفسه وشرح تأثيرها في كتابة « مداخل الإحساس « وهي تؤدي بالنتيجة إلى مجموعة أعراض تشبه الجنون ولذلك أطلق اسم « الجنون الصناعي » و على تلك المواد اسم « المواد المهلوسة « وينتحر بعض المرضى تحت تأثير هذه الحالة وما يحسونه من مرئيات غريبة . ويتبين مما تقدم ، أن الإدمان على المخدرات ستار لمرض نفسي ، أو عقلي يخفف من الاضطراب والارتباك الداخلي للجهاز النفسي لفترة من زمن ، ولكنه يمهد تدريجيا إلى انتحار فعلي ، أو إلى انتحار بطئ ، أو إلى مرض عقلي مزمن .

8 . الأحوال الاقتصادية والطبقية :

إتضح (لسينزبري) بأن الفقر بحد ذاته ، والدخل الفردي لم يكن عاملا مهما في الميول الانتحارية ، غير أن البطالة والفقر المفاجئ لمن كان ميسور الحال هما اشد تأثيرا . وللبطالة علاقة وثيقة بالأحوال الاقتصادية العامة للمجتمع[2] .

و يتوزع الانتحار توزيعا مختلفا بين طبقات المجتمع مثلما تتوزع بقية الأمراض النفسية كالقلق والاكتئاب والعصاب . وبتصور (هلبرت) الانتحار هو يتأرجح في الصعود والهبوط بصورة عكسية مع النشاط الحياتي والعمل[3] . و قد عزا كل من (هنري وشورت) وأن الانتحار راجع إلى إضطراب الحياة الاقتصادية . ولما كانت الطبقة ذات الوضع الاقتصادي الجيد ، هي أكثر تعرضا للأذى والانتكاسات العنيفة من جراء أي تذبذب اقتصادي فان الانتحار يكون أكثر في الطبقات الغنية منه في الطبقات ذات الدخل المحدود . وأيد ذلك فعلا كل من (سينزبري) و(أكبرن) و(توماس) و(دبلن) و(بنزل) [4].

و الأزمة الاقتصادية هي بمثابة تهديد وتثبيط لحياة الفرد . ولما كانت عملية الانتحار بمثابة رد فعل على الاعتداء كما أسلفنا في إستعراض النظريات النفسية للانتحار فإننا نتوقع أيضا بأن الانتحار يزيد في الأزمات الاقتصادية ، لأنه رد على التهديد ، وهو ما يحدث فعلا .

و قد قام بعد (دور كهايم) تلميذه (هولباوخ) بإحصائية أكبر وأعم أدت به إلى نفس نتائج أستاذه ، إذ وجد أيضا إرتفاع نسبة الانتحار بين الطبقات المرهفة

(1) Huxley,1960 , The doors of perception, penguin books, London,2001 , p142.
(2) Philippe (A), suicide et chômage, psychologie médical N20, vol3,2005 , p380.
(3) Idem , p 380.
(4) Idem , p 381.

ذات المستوى الاجتماعي العالي ، منهم مثلا المندوبين السياسيين[1] .

و مما يدعو للاستغراب أن الرفاه الاجتماعي ، والبحبوحة الاقتصادية لها مفعول عكسي كالضيق وعسر المعيشة! وقد فسر بعض المفكرين إرتفاع نسبة الانتحار في السويد بعوامل متعددة ، منها السعادة والرفاه العميم ، بحيث أن الفرد يشعر بفراغ وسأم من حياة رتيبة هينة .

و للرفاه معان مختلفة لدى الناس ، فهو عند بعضهم فراغ متعاظم ، لدى آخرين فرصة للسعي وراء آفاق روحية جديدة ، ولدى البعض الأخر حياة مستبعدة للآلة التي توفر لهم كل شيء وهم أشباه قعود . ولعل الرفاه والضمان الاجتماعي المعروف في السويد والدنمارك والنمسا يضعف المقاومة وتحدي الموت . لذلك يستسلم الفرد الاسكندينافي بسرعة للموت في المرض أو الأزمات أو الكبر .

و حتى في الولايات المتحدة الأمريكية فان الانتحار هو أكثر بين الأغنياء والمرفهين منه في الطبقات الأخرى . فالضمان على ما يبدو يشل غريزة الحياة في أيام الكفاح والأزمات غير أن تفسيرا آخر تقدم يه بحاثة آخرون وهو أن الرفاه يدفع الإنسان إلى الانغماس في اللذائذ والتسيب والإدمان على المخدرات ، والإدمان بدوره يغرس الميول الانتحارية .

خاتمة

من خلال دراستنا تبين لنا أن فعل الانتحار ، هو فعل ليس معزول عن مختلف العوامل الاجتماعية والإقتصادية والنفسية المؤثرة فيه . وكذلك لا يمكن أن نرجعه إلى سبب أو عامل مؤثر واحد فقط ، بل هناك مجموعة من العوامل المعقدة والمتشابكة فيما بينها ، وبتفاعلها بالمحيط الاجتماعي للفرد قد تدفع الفرد إلى فعل الانتحار أو تؤدي ألى نضج الميول الانتحارية لديه . والتي تبدأ عبرة سيرورة من المراحل بداية من فكرة التصور للفعل وإلى فكرة الرغبة في إتمام الفعل ووصولا إلى فعل التنفيذ . فالانتحار ليس وليد لحظة معينة بل هو نتيجة فكرة وتصور مستبطن تغذيه مجموعة من العوامل المختلفة وهي التي تساعدنا على فهم كيف يتأسس الفعل الانتحاري ؟ وما هي المحددات والعوامل التي تساعد على هذا التأسيس ، لأن الفعل الانتحاري يتأسس وفق وتيرة زمنية من خلالها تنضج الميول الانتحارية لتتحول إلى رغبة فعلية في الانتحار .

(1)) Durkhiem (E) , le suicide , op . cit , p 120

قائمة المراجع :

ا. باللغة العربية :

/1 أحمد خليفة ، الوقاية من الجريمة الناشئة عن التغير الاجتماعي المصاحب للتنمية ، المجلة الجنائية ، القاهرة ، العدد 1 ، 1961 .

/2 بودكو كريستيان واستيابليه روجيه ، دوركايم والانتحار ، ترجمة : أسامة الحاج ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1983 .

/3 حسن الساعات سامية ، الجريمة والمجتمع ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، 1983 .

/4 حسن فايد ، الفروق في الإكتئاب واليأس وتصور الانتحار بين طلاب الجامعة ، دراسات نفسية تصدر عن رابطة الأخصائيين النفسيين المصرية (رانم) ، عند يناير ، 1998 .

/5 الدباغي فخري ، الموت اختيارا ، دراسة نفسية اجتماعية ، دار الطباعة ، بيروت ، 1982 .

/6 دري حسن عزت ، الطب النفسي ، دار العلم ، الكويت ، 1986 .

/7 الرفاعي نعيم ، الصحة النفسية ، دراسة في سيكولوجية التكيف ، المطبعة الجديدة ، دمشق ، ط 2 ، 1972 .

/8 السيد علي شتا ، باثولوجية العصيان والاغتراب ، دار الحكمة ، القاهرة ، 2004 .

/9 الشافعي أبومدين ، الصراع النفسي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1950 .

/10 عاطف عيث محمد ، المشاكل الاجتماعية والسلوك الانحرافي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1989 .

/11 عبد الحكيم عفيفي ، الاكتئاب والانتحار ، الدار المصرية ، الطبعة الأولى ، 1990 .

/12 عبد الرقيب أحمد البحيري ، محاولة التنبؤ بمخاطر الانتحار من خلال الاختبارات ، بحوث المؤتمر السنوي السادس لعلم النفس في مصر ، الجمعية المصرية للدراسات النفسية ، عدد 22 ـ 24 يناير ، 1990 .

/13 عبد الله محمد أحمد محمد ، الاغتراب عن الذات والمجتمع وعلاقته بسمات الشخصية ، دار المعرفة ، لبنان .

/14 عزمي إسلام ، لودفيج فتجنشتين ، سلسلة نوابغ الفكر الغربي(19) دار المعارف ، القاهرة .

/15 عماد الدين سلطان ، الصراع القيمي بين الآباء والأبناء وعلاقته بالبناء النفسي ، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، القاهرة ، 1973 .

/16 فاخر عاقل ، معجم علم النفس ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، 1977 .

/17 فايد حسين ، الاضطرابات السلوكية تشخيصها ، أسبابها ، علاجها ، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الأولى ، 2001 .

/18 فرج عبد القادر وآخرون ، معجم علم النفس والتحليل النفسي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1967 .

/19 فروم إريك ، الخوف من الحرية ، (تر : مجاهد ، عبد المنعم مجاهد) ، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات ، النشر ، بيروت ، 1972.

/20 فيكتور فرانكل ، الإنسان يبحث عن معنى ، (تر : طلعت منصور) ، دار القلم ، الكويت ، 1986 .

/21 قيرة إسماعيل وآخرون ، عولمة الفقر ، المجتمع الآخر مجتمع الفقراء والمحرومين ، دار الفجر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 2003 .

/22 محمد عادل عبد الله ، الهوية ، الاغتراب ، الاضطرابات النفسية ، دار الرشاد ، القاهرة ، 2000 .

/23 محمد عثمان نجاتي ، علم النفس في حياتنا اليومية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1966 .

/24 محمود رجب ، سارتر فيلسوف الحرية والاغتراب ، مجلة الفكر المعاصر ، العدد 25 ، القاهرة ، 1967 .

/25 مخائيل أسعد يوسف ، المشكلات النفسية ، حقيقتها ، وطرق علاجها ، دار النهضة المصرية للطباعة والنشر ، الفجالة ، 1988 .
/26 معن خليل عمر ، التفكك الاجتماعي ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، الطبعة الأولى ، 2005 .
/27 المغربي سعد ، الاغتراب في حياة الإنسان ، الجمعية المصرية للدراسات النفسية ، 1976 .
/28 ممدوح الزوبي ، الانتحار بين المتعة والفلسفة والمعتقدات ، مؤسسة الإيمان ، بيروت ، لبنان ، 1990 .
/29 المنجد في اللغة والإعلام ، دار المشرق ، بيروت ، لبنان ، 1986 ، طبعة : 28 .
/30 منصور عبد المجيد والشربيني زكريا أحمد ، الأسرة على مشارف القرن 21 ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الأولى ، بدون سنة .
/31 ميخائيل يوسف ، الشباب والتوتر النفسي ، مكتبة غريب ، الفجالة ، بدون سنة .

II . باللغة الأجنبية :

1/ Achille (F) et col , Psychologie Pathologie du suicide , PUF , Paris ,1932 .
2/ ARLABOSSE (R) et Coll , Encyclopaedia universalis , Edition 1990 , TOME 21 , PARIS .
3/ Camus (A) , Mythode sisyphe , Ed du seuil , Paris ,1933 .
4/ Charazac Brumel Marguerite : Prévenir le Suicide et Prise en Charge , DUNO , paris ,2002 .
5/ Davids (A) , Alienation , social , apperception and ego structure , Journal of consulting psychology , N19 ,2007 .
6/ Deshaies (G) , La psychologie du suicide , PUF , Paris ,1970 .
7/ DURIGNAUD (J) , L'anomie , hérésiet subversion , edantropos , Paris , 1973.
8/ DURKHEIM , Le Suicide , Puf , Paris ,1969 .
9/ DURKHEIM (M) , La science social et l'action , PUF , paris ;1970 .
10/ FILLOUX (J . C) , Individualisme , socialismes et changement social chez Emil Durkheim , paris ,1975 .
11/ Frommeric , The son society , New York ,1955 .
12/ Halbwachs Maurice , Les causes du suicide , préface , serge paugam , PUF , paris ,2002 .
13/ Huxley ,1960 , The doors of perception , penguin books , London ,2001 .
14/ Jacobs , J et Teicher , J , Brocken homes and social isolation inattemted suicide of adolescents , in international Journal social psychiat N13 ,2006 .
15/ Landsberg (J . P) , Essai sur l'experience de la mort , Ed le seuil , Paris , 1979.
16/ Louis Vincent (TH) et col , La mort aujourd'hui , Ed atropos , Paris ,1975 .
17/ Mendel (G) , La crise de génération , Ed PAYOT , Paris ,1969 .
18/ Mendel (G) , La crise de génération , Etude socio psychanalytique , A PAYOT , paris ,1946 .
19/ Philippe (A) , suicide et chômage , psychologie médical N20 , vol3 ,2005 .
20/ Robins E , schmidt . E . H et o'niel . p , some inter relations of social factors and clinical diagnosis in attempted suicide a study of 109 patient , American of Journal of psychiatry N 114 ,2005 .

21/ Tousignant (M) et Brian (L . M) , Comprendre le suicide , P . U . M , Canada , 2004.

22/ Verdine (J) et autres , suicide et conduites suicidaires , Aspect socioculturel épidémiologique , prévention et traitement TOME2 , masson , paris ,1982 .